عرش سين- آخي- أربيا (سنحاريب) أنموذجاً للعروش الآشورية

د. ياسمين عبدالكريم محمد علي
كلية الآثار/ جامعة الموصل

مستخلص البحث

يُعد كرسي العرش في العصر الآشوري الحديث من ابرز ما وصلنا من نماذج العروش في العراق القديم، إذ برع الفنان الآشوري في تصوير عدد كبير من أشكال العروش هذه على مواد متنوعة، كان من أبرزها ما صُور على المنحوتات الجدارية التي زينت جدران القاعة الآشورية في القصور. ويُعد كرسي العرش العائد للملك سيي- آخي- أربيا من أهم تلك العروش من حيث أسلوب صناعته وتزيَينه، إذ نُفذ هذا العرش على نمط العروش الآشورية المرتفعة والمزينة بالعديد من العناصر الزخرفية ذات المدلولات المتنوعة والتي كان من أبرزها الأشكال الآدمية الساندة وعنصر كوز الصنوبر المقلوب.

مع نشوء المجتمعات ومعرفة الإنسان لحياة الاستقرار، وتنامي البوادر الأولى لظهور نظام السلطة، جاءت الحاجة إلى وسائل عدّة تُميَز رئيس المجموعة عن باقي أفراد مجموعته. ومن هنا برزت فكرة استخدام مقعد مرتفع يعطي صاحبه مكانة تعكس مدى سلطته(١)، وبمرور الوقت ومع تبلور مفاهيم السلطة، سواء أكانت السلطة الدينية أم الدنيوية، أصبح الكرسي (العرش) رمزاً من رموز السلطة في العراق القديم سواء ما خصص منه للآلهة أم للملوك. وقد تنوعت أشكاله وتزييناته التي كانت انعكاساً لمنزلة مستخدميه(٢).

أُطلق على الكرسي بشكل عام في اللغة السومرية المصطلح ^{GIŠ}GU.ZA يرادفه في اللغة الأكدية المصطلح kussu(٣). أما كرسي العرش تحديداً فقد تنوعت المصطلحات التي أُطلقت عليه ؛ تبعاً لوظيفته أو لشكله العام أو لمادة صناعته في بعض الأحيان(٤).

كان الشكل الأول للكرسي، هو كرسيَ من دون مساند وقد ظهر ممثلاً على الأعمال الفنية منذ عصر فجر السلالات (٢٩٠٠-٢٣٧١ق.م)، وأُطلق عليه باللغة السومرية ^{GIŠ}ŠU٢.A يقابله في اللغة الأكدية المصطلح littu(٥). أما النوع الثاني فيعرف بالكرسي ذي المساند الذي يمثل الشكل المعروف لكرسي العرش الآشوري، إذ أطلق عليه باللغة السومرية المصطلح ^{GIŠ}GU.ZA ZAG.UŠ يرادفه بالاكدية المصطلح kussinēmedi(٦). وتعني لفظة nēmedi الدعم أو الإسناد، ويطلق هذا المصطلح على كرسي العرش الذي يحتوي على مسند خلفي للظهر ومساند جانبية، أما كرسيَ (العرش) الذي يحتوي على مسند خلفي فقط فيطلق عليه ^{GIŠ}GU.ZA-Aratta يقابله في اللغة الاكدية kussiarattita(٧). كما أُطلقت العديد من المصطلحات اللغوية التي تُشير إلى وظيفة كرسي (العرش) مثل المصطلح السومري ^{GIŠ}GU.ZA.MAN يرادفه باللغة الاكدية kussišarruti ويعني: عرش السلطة أو عرش الملوكية(٨). وغالباً ما يرافق كرسي العرش المرتفع هذا موطئ قدم يظهر ممثلاً في العديد من المشاهد الفنية وقد أُطلق على موطئ القدم المستخدم مع العرش المصطلح السومري ^{GIŠ}GIRI٣.GUBšakussi(٩).

تعود البدايات الأولى إلى استخدام العروش أو الكراسي ذات المساند الخلفية المرتفعة إلى العصر الآشوري الوسيط (١٣٦٥-٩١٢ق.م) وتحديداً إلى عصر الملك آشور- بان- آبلي الأول (آشور ناصربال)، إذ مثَل هذا النوع من كراسي (العروش) على أحد الحقول الأفقية المنفذة على المسلة

البيضاء التي عُثر عليها في مدينة نينوى[١٠]. واستمر استخدامه بشكل واسع في العصر الآشوري الحديث(٩١١-٦١٢ق.م).

كرسيَ العرش العائد للملك سين-آخي-أريبا (سنحاريب)

على الرغم من قلة العثور على نماذج مادية من الأثاث العراقي القديم بشكل عام والأثاث الآشوري بشكل خاص؛ نظراً لتلف المواد العضوية التي كان الأثاث يُصنع منها عند تعرضه للعوامل البيئية، إذ كانت أغلب البقايا المادية تُمثل أجزاءً من قطع الأثاث وتزييناته والتي كانت من المواد التي تقاوم عوامل البيئة[١١]. ولكنها في الوقت نفسه لا تعطي فكرة واضحة عن هذه الصناعة المهمة لاسيما في حقبة زمنية تُعدَ من الحقب البارزة في حضارة بلاد الرافدين إذ امتازت بغزارة الإنتاج الفني والعمراني. وتأتي المشاهد الفنية المنفذة على المنحوتات الجدارية التي كانت تُزين جدران القصور الآشورية، لتحفظ لنا العديد من نماذج قطع الأثاث المتنوعة، والتي يمكننا بوساطتها تمييز التطور الحاصل الخاص بأساليب التنفيذ أو بتطور الأشكال وتنوعها، وفي الوقت نفسه فإن عرض هذه النماذج في المشاهد الفنية بما تضمنتها من أشكال وتزيينات متنوعة قد ساعد كثيراً في تأصيل العديد من العناصر الفنية الداخلة في هكذا صناعة ومعرفة جذورها التاريخية في فنون بلاد الرافدين وصناعتها، بوصفها تطوراً لأشكال العروش واستمرار بعضها منذ العصور السابقة للعصر الآشوري الحديث، فضلاً عن استعارة العديد من العناصر التزيينية من فنون السومريين والأكديين والبابليين، كالأشكال المركبة وبعض العناصر الزخرفية وهذا ما برز بوضوح في أثاث هذا العصر، وتحديداً أثاث الجلوس الملكي، الذي يُعد كرسي العرش من أبرز أنواعه، لما تعكسه هذه النماذج من تواصل فني-اجتماعي يمتد على مرَ العصور ليتجلى في مشاهد النحت البارز الآشوري الذي زيَن مساحات واسعة من جدران القصر الجنوبي الغربي في مدينة نينوى، والذي يمثل مدار حديثنا في هذا البحث، ومن ابرز هذه العروش:

عرش الملك سين-آخي-أريبا (سنحاريب) المُمثل في مشهد حصار مدينة لاخيش[١٢]، الذي صُوّر على أحد جدران الغرفة ذات الرقم (٣٦) XXXVI في قصر الملك سين- آخي- أريبا[١٣]،إذ قام فنانو هذا الملك بتمثيل هذا العرش على الرغم من وجوده في المعسكر، بأدق التفاصيل تأكيداً منهم على أهمية العرش بما يمنحه من هيبة للملك وما يحمله هذا التمثيل من تأكيد السلطة، لاسيما أثناء الحملات العسكرية ضد الأقاليم المتمردة كما حصل مع مملكة يهوذا[١٤]. صُور هذا العرش على اللوح الحجري الحادي عشر ضمن سلسلة الألواح الجدارية التي زينت الغرفة المذكورة آنفاً، وقد جلس عليه الملك سين-آخي-أريبا وهو يتجه إلى جهة اليسار ويقوم باستقبال قائد جيشه، الذي يقوم بعرض الغنائم والأسرى أو المبعدين من المدينة، أمامه.

يعد أنموذج العرش هذا أبرز أنواع العروش الآشورية الممثلة على المنحوتات الجدارية، وهو من نوع العروش المرتفعة، له مسند خلفي عالٍ انسدل على قمته المنحنية غطاء طويل من النسيج مزيَن بالأزهار[١٥] يصل إلى خلف هذا المسند وينتهي من الأسفل بأهداب (شراشيب) طويلة، وللعرش مقعد مستوٍ ارتكز على حافتيه الجانبيتين صف من التماثيل الآدمية الساندة قامت بدعم مسانده الجانبية ذات الحافات المنحنية. وللعرش أربع قوائم تربط بينها عوارض أفقية زُينت بأشكال حلزونية متخالفة كما

ارتكزت عليها تماثيل أدمية مماثلة للسابقة عُملت نهايات القوائم بشكل اكواز الصنوبر المقلوبة[١٦] (الشكل ١).

ونظراً لارتفاع كرسي العرش هذا فقد رافق استخدامه موطئ القدم، وهو ذو مقطع جانبي متوازي المستطيلات وسطح مستوٍ، يبرز طرفاه الأمامي والخلفي إلى الأعلى بشكل مثلث متدرج، أما قوائمه فتنتهي بأقدام ذات شكل حيواني تمثل أقدام أسد، وتربط بينها (القوائم) عوارض أفقية مزيَنة بأشكال حلزونية متخالفة وقد استند موطئ القدم هذا على أقدام ثانية عملت بشكل العنصر النباتي كوز الصنوبر المقلوب امتدت بينها عوارض أفقية ثانية[١٧].

يمكن مقارنة كرسي العرش هذا مع نماذج لعروش مشابهة كانت هي الأخرى من نوع العروش المرتفعة، والتي تعد من أكثر أنواع العروش استخداماً في العصر الآشوري الحديث سواء ما خصص منها للآلهة أو للملوك[١٨]–كما مرَ ذكره آنفاً– فقد عثر على أنموذج مشابه لعرش الملك سين–آخي–أريبا، من حيث احتوائه على المسند الخلفي المرتفع فضلاً عن وجود التماثيل الساندة التي تدعم مقعد العرش، منفذ على واجهة صخرية في منطقة معلثايا (جنوب دهوك)[١٩]. لكنه يختلف عن الأنموذج السابق من حيث عدم احتوائه على مساند جانبية فضلاً عن اختلاف في بعض التفاصيل التزيينية المتعلقة بالتماثيل الساندة[٢٠] (الشكل ٢).

أما الأنموذج الآخر المشابه لعرش سين–آخي–أريبا، فقد وجد مصوراً على أحدى المنحوتات الجدارية في الغرفة ذات الرقم (٤٨) XLVIII في القصر الجنوبي الغربي العائد للملك سين–آخي–أريبا في مدينة نينوى[٢١]. وهو لا يحتوي على مساند جانبية أيضاً مثلما ظهر في كرسي العرش الممثل في المشهد الفني المصَور على الواجهة الصخرية المذكورة آنفاً (الشكل٣).

أنواع التزيينات الخاصة بكرسي العرش العائد للملك سين–آخي–اريبا (سنحاريب) وأهميتها.

لم تأت معظم تزيينات قطع الأثاث لغرض التزيين فحسب، بل جاءت بوصفها عناصر أساسية مكملة لها، وبهذا فقد كان لبعض هذه العناصر التزيينية وظيفة دعم وإسناد لأجزاء مهمة في كرسي العرش للملك سين–آخي–أريبا المصور في المشهد الفني الخاص بحصار مدينة لاخيش، كما أن للبعض الآخر من هذه التزيينات مدلولاً رمزياً إذ استخدمت لحماية الملك وطرد الأرواح الشريرة عنه.

كان من أبرز هذه التزيينات الأشكال الآدمية الساندة التي كانت غالباً ما تدعم سطح المقعد في كرسي العرش أو مسانده الجانبية، إذ تبدو حركتها وكأنها تحاول رفع هذه الأجزاء وزيادة استقرارها.

ربما تمثل هذه الأشكال آلهة رافقت الملك لتقوم بحمايته، إذ تُشبه من حيث الوضعية وطراز الملابس أشكال الآلهة التي ظهرت في عصر الملك شرُّ–كين (سرجون) والد الملك سين–آخي–أريبا، والتي كانت تزين العديد من قطع الأثاث[٢٢]. وترتدي هذه الأشكال خوذاً مقرنة، والتي ربما كانت مصنوعة من المعدن، ومما يؤيد ذلك العثور على أنموذج من البرونز خلال التنقيبات الأثرية في تل ماحوز (شرق مدينة أشور) [٢٣]. عُمل الجزء العلوي لهذا الأنموذج بهيئة رجل أما الجزء الأسفل فيعود لثور، وقد رفع كلتا يديه إلى الأعلى وهو بهذا يشبه من حيث الوضعية أشكال التماثيل الساندة في كرسي العرش الذي نحن بصدده[٢٤].

تقف التماثيل الساندة بوضعية جانبية لتدعم المساند الجانبية وسطح المقعد، وترتدي هذه الأشكال رداءً طويلاً مفتوحاً من الأمام، تظهر تحته تنورة قصيرة وقد زُينت هذه الملابس بالأهداب (الشراشيب) الطويلة[٢٥].

ويبدو أن استخدام التماثيل الساندة في تزيين العروش الآشورية بشكل كبير في عصر الملك سين–آخي–اريبا جاء على اثر قلة استخدام الأشكال ذاتها في باقي تزيينات القصر، إذ كانت الأشكال الآدمية سواء ما مثل منها بشكل بشري أو برأس عقاب معروفةً في منحوتات القرن التاسع قبل الميلاد وعلى نطاق واسع[٢٦]، إذ كانت لهذه الأشكال وظيفة رمزية – سحرية تتمثل بحماية الملك ورشه بالسائل المقدس، فضلاً عن مرافقته في بعض الطقوس الدينية كما ظهر ذلك في المشاهد الفنية المنفذة منذ عصر الملك آشور– ناصر– آبلي الثاني(اشور ناصربال) [٢٧]وبمرور الوقت ومنذ عصر الملك شرُّ–كين الثاني(سرجون) فإن وجود هذه الأشكال اخذ بالنقصان في المشاهد الفنية المُزينة لقاعات القصر، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ استخدام هذه الأشكال بشكل فعلي في تزيينات قطع الأثاث منذ عصر شرُّ–كين الثاني (سرجون) واستمر في عصر ابنه سين–آخي–أربيا [٢٨].

إن استخدام هذه الأشكال بوصفها عناصر زخرفية أساسية في كرسي العرش الآشوري يشير بشكل واضح إلى أهميتها كجزء مكمل للعرش، إذ وفرت التماثيل الساندة الحماية للملك –وفق مفهوم العراقيين القدماء– ولاسيما مع كراسي العرش المستخدمة في أثناء الحملات العسكرية[٢٩]. كما ظهر في المشهد الفني الخاص بحصار مدينة لاخيش. ويرى بعض الباحثين أن هذه الأشكال الساندة هي تأثير عماري على قطع الأثاث المنفذة في هذا العصر مثل استخدام التماثيل البشرية في العمارة اليونانية[٣٠].

وهناك عناصر تزيينية أخرى في كرسي العرش العائد للملك سين–آخي–أربيا (سنحاريب) كانت جزءً أساسياً من هذا الكرسي هذا وتتمثل بالعنصر النباتي المعروف بكوز الصنوبر المقلوب والذي ظهر منذ عصر الملك توكتلي–آبل– ايشرّا الثالث (تجلاتبليزر) بوصفه عنصراً تزيينياً في قطع الأثاث، إذ يشكل هذا العنصر نقطة ارتكاز العرش على الأرض، والذي ربما يرتبط بمفاهيم سحرية معروفة في بلاد الرافدين تتمثل باستخدام هذا العنصر لطرد الأرواح الشريرة[٣١]. وهذا ما جعله نقطة ارتكاز العرش، يؤيد ذلك استخدام عنصر كوز الصنوبر بشكل واسع في مشاهد النحت البارز المنفذة على المنحوتات الجدارية إذ يحمله الملاك الحارس المرافق للملك في منحوتات القرن التاسع قبل الميلاد[٣٢].

فضلاً عن هذه التزيينات، فقد كانت العارضة الأفقية التي تربط قوائم العرش الملكي مزينة بأشكال حلزونية متخالفة، ربما كانت مصنوعة من المعدن، نظراً للعثور على العديد من نماذج مشابهة لها خلال التنقيبات الأثرية في مدينة نمرود(كالخو قديماً) [٣٣]. فضلاً عن هذه التزيينات فقد نُفذت بعض التزيينات الأخرى التي كانت مضافة لكرسي العرش هذا، والتي جاءت لتزيد من جماله وتتمثل هذه التزيينات بمجاميع من الخطوط الأفقية والعمودية التي وزعت على كرسي العرش بشكل دقيق بحيث تعطي انطباع وكأنه مصنوع من حزم القصب ربطت إلى بعضها البعض، ربما كانت هذه الحزوز مطعمة بالمعادن الثمينة.

أما موطئ القدم المرافق لكرسي العرش هذا فقد زيَن ببعض العناصر التزيينية مشابهة لما وجد فيه (العرش) مثل الأشكال الحلزونية المتخالفة فضلاً عن استخدام مجاميع الخطوط الأفقية والعمودية وارتكاز موطئ القدم هذا على عنصر أكواز الصنوبر المقلوبة. وكان العنصر المميز في موطئ القدم هو نهاية قوائمه بالأشكال الحيوانية المتمثلة بأقدام الأسد[٣٤].

الخاتمة

يُعد كرسي العرش رمزاً من رموز السلطة للآلهة والملوك على حد سواء، وهو بهذا يعكس مفاهيم دينية ودنيوية تجسدت بشكل واضح في نماذج العروش الآشورية في عصرها الحديث، وذلك من خلال تنوع أشكالها وتزييناتها التي منحتها كثيراً فضلاً عن دلالة بعضها الرمزية في توفير الحماية للملك، إذ دمجت هذه العناصر مادياً (Physically) مع كرسي العرش وأصبحت جزءاً أساسياً منه.

الأشكال

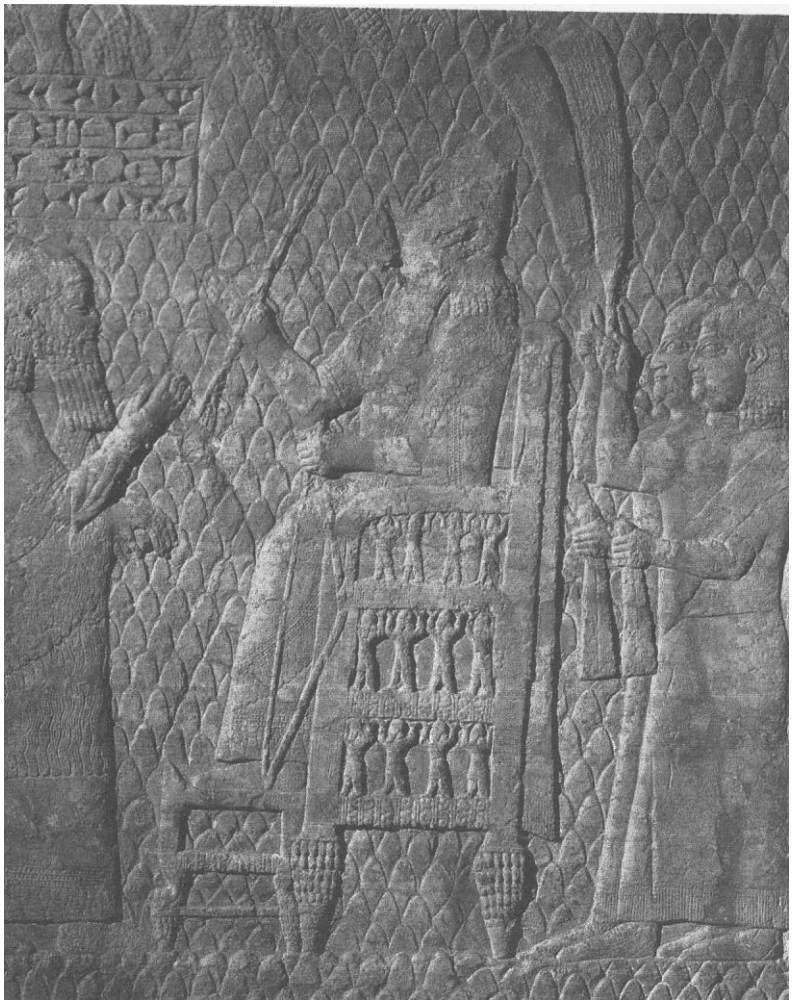

(الشكل ١)

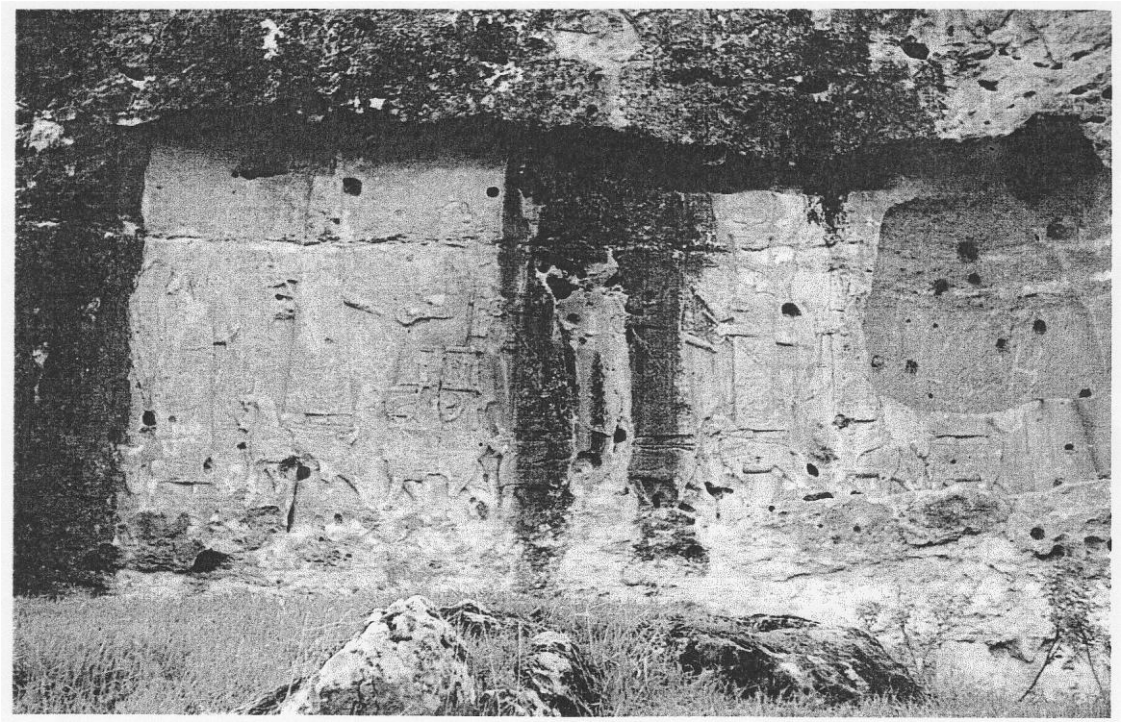

(الشكل ٢)

(الشكل ٣)

Abstract

The throne chair is of the most outstanding throne samples in ancient Iraq in the Neo-Assyrian period.

The Assyrian artist was very skillful in depicting a large number of throne figures on various surfaces like the wall sculptures that decorated the walls of the Assyrian palaces halls. The throne chair of king Sin-ahhi- ereba is one of the most prominent thrones with regard to its style and decoration. It follows the style of the high Assyrian thrones which are decorated with many ornamented easements of various significations. The most common among these elements are the human fingers and the upside done pine element.

الهوامـــش

(١) رزوقي، غادة موسى، "نشأة الأثاث وتطوره في حضارة وادي الرافدين والحضارة المصرية"، مجلة آفاق عربية، ١٩٩٢، ص٨٥.

(٢) محمد علي، ياسمين عبد الكريم، الأثاث في العصر الآشوري الحديث ٩١١–٦١٢ق.م، بغداد، ٢٠٠٩، ص١١٧.

(٣) CAD, "K", P.٥٨٧a.

(٤) Salonen, A., Die Mobel Das Alten Mesopotamia, Helsinki, ١٩٦٣, P.٦٩-٨٤.

(٥) لآبات، رينيه، قاموس العلامات المسمارية، ترجمة: البير أبونا، وليد الجادر وخالد سالم إسماعيل، مراجعة عامر سليمان، بغداد، ٢٠٠٤، ص٢٣٧ العلامة: ٥٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٥٣ العلامة: ٣٢٣؛ Salonen, Op. Cit., P. ٨٣

(٧) Ibid, P.٨٣.

(٨) CAD, "K", P.٤٧٦a. ; Salonen, Op. Cit., P.٥٦.

(٩) لابات، المصدر السابق، ص١٩٩، العلامة: ٤٤٤ ؛ وكذلك ص١١٧، العلامة: ٢٠٦.

(١٠) Reade, J.E. "Aššurnasir pal. I and the White Obelisk" IRAQ, part.١, Vol. XXXVII, ١٩٧٥, P.٢٣١.

(١١) Herman, G., "Ivory Furniture Pieces From Nimrud" In: Herman, G., The Furniture Of Western Asia Ancient And Traditional, London, ١٩٩٦, P.١٥٣.

(١٢) لاخيش (تل الدوير حالياً): تقع هذه المدينة على بعد ٤٠كم إلى الجنوب الغربي من مدينة أورشليم (القدس)

Ussishkin, D., TheBattle at LachishIsrael. Archaeology, Vol. ٣٣, No. ١, ١٩٨٠, P.٥٦.؛

محمد علي،ياسمين عبدالكريم "المنحوتات الجدارية خلال عصر السلالة السرجونية في ضوء المصادر المسمارية دراسة تحليلية بين النص والمشهد، الموصل، ٢٠١١، ص ١٣٦.

(١٣) هذه الألواح محفوظة الآن في المتحف البريطاني تحت الرقم (BM: WAA١٢٤٩٠٢-١٠)

Wäfler, M., "Nicht- Assyrer Neuassyrischer Darstellungen", AOAT, Band ٢٦, ١٩٧٥, P.٣٧٤.

(١٤) للمزيد عن الحملة الثالثة يراجع: حبيب، طالب عبد المنعم،"سنحاريب سيرته ومنجزاته ٧٠٤–٦٨١ق.م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٧، ص٧٩.

(١٥) الجادر، وليد، الحرف والصناعات في العصر الآشوري الحديث، بغداد، ١٩٧٢، ص٣٠٤.

(١٦) محمد علي، المصدر السابق،٢٠٠٩، ص٢٨٥.

(١٧) المصدر نفسه، ص٢٨٦.

(١٨) لقد ظهرت العروش ذات المساند الخلفية المرتفعة بشكل واسع على أختام العصر الآشوري الحديث. يراجع:

Frankfort, H., Cylinder Seals, London, ١٩٣٩, P.١٩٧; Baker, H., Furniture In The Ancient World Origins And Evolution ٣١٠٠-٤٧٥B.C., London, ١٩٦٠, P.١٨٠f

(١٩) تمثل هذه المنطقة مدينة (ملاطيا الآشورية) الواقعة على بعد ٧كم جنوب محافظة دهوك على الطريق المار بين الموصل–زاخو. باقر، طه وسفر، فؤاد، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة الرحلة الثالثـــة، بغـــداد، ١٩٦٦، ص٤٧.

(٢٠) للمزيد يراجع: Curtis, J. E. and Reade, J.E., Art And Empire Treasures From Assyria In The BritishMuseum, London, ١٩٩٥, P.١٩٧.

(٢١) محمد علي، المصدر السابق،٢٠٠٩، ص٢٧٣.

(٢٢) عُثر على هذا الأنموذج في موقع تل ماحوز الواقع على بعد ٦٠كم شرق مدينة آشور (قلعة الشـــرقاط حاليـــاً) والذي بلغ ارتفاعه ٣٥سم للمزيد يراجع:

Curtis, J.E., Assyrian Furniture", In: G. Herrmann The Furniture Of Western Asia Ancient and Traditional, London, ١٩٩٦, P.١٩٧.

(٢٣) Ornan, T., "Expelling Demons At Nineveh : On the Visibility Of Benevolent Demons In The Places Of Nineveh", IRAQ, Vol. LXVI, ٢٠٠٤, p.٨٥.

(٢٤) Ibid, P.٨٦.

(٢٥) محمد علي، المصدر السابق،٢٠٠٩، ص٢٧٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٧٣.

(٢٧) Paley. S., King Of The World: Ashur- nasir- pal II Of Assyria, ٨٨٣-٨٥٩ B.C. Brooklyn, ١٩٧٦, P.٧٥.

(٢٨) Ornan, Op. Cit, P.٢٩.

(٢٩) Salonen, Op. Cit., P.٦٩.

(٣٠) Roaf, M., "Architecture And Furniture" In: G. Herrmann The Furniture Of Western Asia Ancient and Traditional, London, ١٩٩٦, P.٢٥.

(٣١) محمد علي، المصدر السابق،٢٠٠٩ ، ص٣١٣.

(٣٢) Paley. Op. Cit, P.٧٦.

(٣٣) Smith, G., Assyrian Discoveries, London, ١٨٧٥, P.٤٣٢.

(٣٤) محمد علي، المصدر السابق، ٢٠٠٩، ص٢٨٦.